

﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

عِبَادَ اللَّهِ: اغْلَمُوا أَنْ أَعْظَمَ مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وَتَيَقِنُوا أَنَّ أَعْظَمَ مَا نَهَاكُمُ عَنْهُ الشِّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ، فَالشِّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ومما يدل على خطورة الشرك أنه يَحْبِطُ عَمَلَ الْإِنْسَانِ وَطَاعَتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وَقَالَ لِنَبِيِّنَا الَّذِي هَدَمَ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةَ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾ [الآيتين من الزمر].

وَمَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكَ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِ أَبَدًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ».

وَالشِّرْكَ ذَنْبٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لماذا حَرَّمَ اللَّهُ الشِّرْكَ، ولماذا هو قبيح؟ إن الشِّرْكَ صرفٌ للعبادة إلى غير الله تعالى، وهذا ضياعٌ لأعظم حقٍّ من حقوق الله تعالى على عباده، وهو أَعْظَمُ التَّنْقِصِ لِرَبِّ الْبَرِيَّةِ، وَمُسَاوَاةٍ غَيْرِهِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

وَلِعِظَمِ خُطُورَةِ هَذَا الذَّنْبِ، وَقُبْحِ عَاقِبَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ اتَّفَقَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعًا عَلَى النَّهْيِ عَنْهُ وَتَحْذِيرِ أَقْوَامِهِمْ مِنْهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فَهَذَا نُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - قَالُوا جَمِيعًا لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَسَارَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْأَمْرِ بِهِ، وَمُحَارَبَةِ الشِّرْكَ وَالنَّهْيِ عَنْهُ كُلُّ مَنْ اتَّبَعَ الرُّسُلَ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ الْأَتْقِيَاءِ وَالْأَيْمَةِ الْأَوْلِيَاءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحَدَهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ فَمَنْ صَرَفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا الظَّاهِرَةَ وَالبَاطِنَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلًا أَوْ مَلَكًا مُقَرَّبًا فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ بِاللَّهِ، فَلَا نَتَوَجَّهُ بِالدُّعَاءِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ، وَلَا نَسْتَعِيثُ وَلَا نَسْتَعِينُ وَلَا نَطْلُبُ المَدَدَ وَالحَاجَاتِ وَدَفْعَ الشَّرِّ وَالكُرْبَاتِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، وَلَا نَذْبِحُ وَنُنْذِرُ إِلَّا لِلَّهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ كما روى مسلم عن عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرِيبٌ مَجِيبٌ، وَسَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَعَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَغَفُورٌ رَحِيمٌ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ فَلَا نَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ نَدْعُوهُمْ أَوْ نَسْأَلُهُمْ، أَوْ نَطْلُبُ مِنْهُمْ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فَعَلٌ كُفْرٌ قُرَيْشٍ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى كُفْرَهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالدِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَأَمْرَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَجْعَلَ دُعَاءَنَا وَصَلَاتَنَا وَجَمِيعَ عِبَادَاتِنَا لَهُ: {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مَنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ العَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ-عِبَادَ اللَّهِ-وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ عِبْدَهُ وَحَدَهُ وَخَافَهُ وَرَجَاهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَنْ سِوَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ سَدَّ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ أَبْوَابِ الشِّرْكِ وَالطَّرِيقِ المُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ حِمَايَةً لِجَنَابِ التَّوْحِيدِ وَحِرْصًا عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ سُلوِكِ سَبِيلِ المُشْرِكِينَ الهَالِكِينَ، وَمِنْ أعْظَمِ أسبابِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ الَّتِي جَاءَ النُّهْيُ عَنْهَا: العُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ، وَهُوَ السَّبَبُ الَّذِي أَوْقَعَ الأُمَّمَ السَّابِقَةَ فِي الشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، بَلْ مَا وَقَعَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِسَبَبِ العُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ وَإِعْطَائِهِمْ بَعْضَ صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَدَعَوْهُمْ وَالتَّجَاؤا إِلَيْهِمْ وَسَأَلُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا وَقَعَ فِي قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالعُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ العُلُوُّ فِي الدِّينِ» [رواه النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]، وَنَهَانَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَعْلُو فِيهِ فَكَيْفَ بغيرِهِ وَمَنْ هُوَ دُونَهُ؟ فَقَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» [رواه البخاري من حديثِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

وَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ أَنْ يَعْزَمَ أَحَدٌ فِي قَبْرِهِ فَيُجْعَلَ عِيدًا وَمَسْجِدًا كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الكِتَابِ بِقُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَفُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَظِيمِ افْتِتَانِ النَّاسِ بِقُبُورِ الصَّالِحِينَ فَسَدَّ هَذَا الْبَابَ حِمَايَةً
لِلتَّوْحِيدِ، وَصَوَّنَا لَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ نَهْيُهُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ فَقَالَ: «وَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَنَهَى عَنِ الْبُنْيَانِ عَلَيْهَا وَرَفَعَهَا كَمَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ طَرَائِقَ الشَّيَاطِينِ وَوَسَائِلَهُمْ لِيَصْرَفَكُمْ عَنِ التَّوْحِيدِ وَأَفْضَالِهِ، وَغَمْسِكُمْ فِي
مَهَالِوِي الشِّرْكِ وَأَوْحَالِهِ، وَاجْتَهِدُوا فِي دُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَيُمَيِّتْكُمْ عَلَيْهِ.

أَلَا وَلَا يَفُوتُنَا أَنْ نُنْذِرْكُمْ -رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْأَخْذِ بِالنَّصَائِحِ وَالتَّوَصِيَّاتِ الصَّحِيَّةِ، وَالتَّزَامِ الْإِجْرَاءَاتِ
الْإِحْتِرَازِيَّةِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ
وَالْمُشْرِكِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْوَبَاءَ وَالْبَلَاءَ وَأَصْرِفْهُ عَنَّا بِمَا شِئْتَ وَاكْفِنَاهُ بِمَا
شِئْتَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رَحَاءَ، دَارَ عَدْلِ وَإِيمَانٍ، وَأَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَسَاوِرَ بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ، وَاشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، وَوَقِّفْ وَلِيَّ أَمْرِنَا
وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالِدِّينِ، وَالْأَلْفِ
عَلَى الْخَيْرِ قُلُوبَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَنَجِّهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،
اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ أَغِثْ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَبِلَادِنَا بِالْأَمْطَارِ
النَّافِعَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.